الصحيفة المثـــالية

لرجل الصحافة « وبكهام استيد »

بقلم الأستاذ زين العابدين جمعة المحامي

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

واجب الصحافة الرشيدة أن تستوعب أمر هـذه الحال المفككة الأوصال وتنعم النظر في سبب تلك الأدواء الاجتماعية وعلة هذا الضلال، ثم تتنزل على ضحاياه لتأخذ بيدهم وتأسوا جراحهم وتنهض بهم من غير أن تبتعد عنهم، أو ترتفع في شرعتها عن مستواهم. وهنا تهيأ الفرصة للصحفي الذي تأصل في نفسه مثل أعلى وتولى زمامه قصد نبيل أن ينشئ للناس صحيفة رشيدة. وقد أخفى مثله ونبالة قصده في نفسه واختزنها لغرضه حتى لا يسخر منه الحق ويضعوا من كفايته قبل أن يتمكن من تحقيق لبانته.

أما عن أمر صحيفتي المثالية التي أحلم بها وأصبو إليها فسوف تطالع الناس وهي تستوعب مصادر الأدواء الاجتماعية ومواردها وتتقصى أسباب الضلال والحيرة الماثلين في الحياة الحاضرة، وهي

هو الذي تريده، وإن توقف وقال ما علامة ما تقولون، وما تصديق ما تزعمون من الرأي والحديث؟ فتقول عندنا دلائل واضحة، فإن أراد أخونا الفاضل الكريم فليبعث إلينا ثقة من ثقاته وأميناً من أمنائه، ومن يشاكلنا في العلوم والمعارف ليتضح له حقيقة ما قلنا(١)

ويظهر أن هؤلاء الذين يوجه إليهم الأخ البار الرحيم والمنتشرين في أنحاء الأرض كانت ميولهم وأغراضهم السياسية كشبه ميول إخوان الصفاء وأغراضهم، ولم يكونوا قد انضموا إليهم بعد، أو لم يعلموا بوجودهم ... (واعلم أن من إخواننا وأهل شيعتنا طائفة أخرى بوجودنا شاكون، وفي بقائنا متحيرون فيما يعتقدون من موالاتنا، وطائفة أخرى بيقائنا موقنون، لكنهم غافلون عن أمرنا غير عارفين بأسرارنا، وكلهم منتظرون لظهور أمرنا، مستعجلون لمجيء أيامنا، مشتهون نصرة حزبنا(٢).)

(بيروت — يتبع)

محمد الدسوقي
مدير كلية المقاصد الإسلامية

---

(١) الرسائل ج ٤ ص ٢٣٨
(٢) ج ٤ ص ١٩٣

وإن تصدر في ذلك عن إيمان مكين لا يقل شأنه على أية حال عن إيمان الصحف الحاضرة بواجبها في تقصي تلك العلل؛ إلا أنها ستضع للحق أعلاماً لا شبهة فيها فتعالج تلك الأدواء باعتبارها ضلالاً وحيرة لا أشياء أخرى تعدد حقيقتها وتتجاوز قدرها.

وسوف تتلمس الحقيقة الماثلة وراء الظواهر، وتنتهي إليها، وتظفر بها ثم تذيعها على الناس في جرأة وأمانة فلا تبقى من أمرها على شيء كاذب، ولا تصانع الشعب فيما انعقد إجماعه عليه فتحترم ما جرى عليه العرف فيه لمجرد أنه قد صار للناس عرفاً. وهي إذ تقر لذي الفضل بفضله، وتقدر للمحسن أحسانه، وتوجه التكريم إلى الوجهة التي يجب أن يتجه إليها، ولا تقر له شرعة غير شرعة الحق والعدل، ستدعو التصنع تصنعاً وتسمي الخداع خداعاً بكامل ما انطوى عليه اسمهما من لفظ ومعنى.

وسوف لا تهيب شيئاً كائناً ما كان أو تخشى في الحق لومة لائم. وإذا هي « لا تتحرج » في معالجتها للموضوعات المؤلمة أو المزعجة، وإذا هي تسجل على نفسها خطأها إذا قدرها أن تخطئ، والزلل لا عاصم منه فالعصمة لله وحده. وإذا هي لا تقبل من ضروب الإعلان إلا ما يتحقق لها صدق عبارته ومادته وأمانة ذويه. وعندئذ يصبح قبولها للاعلان ضماناً أدبياً يصون مصالح القراء ويكفل حقوق الناشرين على السواء. وإذا هي تأبى أن تنشر للتجار الشهادات المتعلقة بصافي مبيعاتهم وتحتقر الطواف (بعينات) البضائع لتبيعها لحساب عملائها؛ وإذا هي تأبى على هؤلاء العملاء وقد غمرها شعور فياض بالكرامة والعزة أن تهبهم شيئاً من الامتيازات المجانية أو أية رخص أخرى؛ وإذا هي تذيع على الناس في قوائم سوداء أسماء الناشرين وشركات الإعلانات ثم تثيرها عليهم حرباً جبارة لا هوادة فيها ولا رحمة تذيع على الناس ما ينتهي إليها من خبيء أمرهم ومستور حيلهم إذا ما حاولوا في نهجها العادل وقصدها الشريف أن يعملوا ما وسعهم من جاه وثروة للقضاء عليها

وسوف تنفق شطراً كبيراً من رأسمالها في كسب ثقة العقول الشابة الطامحة الذين سيتعلمون عاجلاً كيف يثقون برأيها ويقتنعون بقضائها ويقدرون نصحها؛ وسوف تكون صحيفة مجاهدة يلمس الناس جهادها وضاحاً من أول عمود من أعمدة « أقلام تحريرها » إلى آخر عمود فيها. وسوف لا ترتبط بأية مصالح مهما كان شأنها ما لم تتفق ومثلها الأعلى. ولا تبأ بعداء أو خصومة مهما كان مصدرها بل تكون إلى ذلك كله مؤمنة كل الإيمان بما انتهت

إليه من منزلة لا يسع كائناً ما كان أن يتجاهلها .

وسوف يكون من ديدن صحيفتي أن تفرغ وسعها في الحصول على الأخبار ، وتعنى بإذاعتها مبوبة منظمة ، فتضع أهم الأخبار في صفحتها الأمامية كما يجب أن تكون ، وسوف لا تتحرج أن تطبع عدة أعمدة متوالية « لقصة » واحدة مسلسلة ، فهي ستنظر دائماً باحتقار لتلك الحيل المضيعة للوقت من التنقل بالقراء من صفحة لأخرى عن طريق وضع بداءات « القصص » المختلف على القمة من كل عمود

وسوف لا تخدع قراءها بأقلام عنوان لا تدعو الحاجة إليه ، أو ابتكار لا غنية فيه ؛ واستعمال حروف الطبع المختلفة النوع والحجم استعمالاً طيباً دقيقاً من شأنه أن يهيئ للقراء الإلمام بما سطر في الصحيفة من غير أن يضيع عليهم شيئاً من الموضوع .

وسوف تتقدم صحيفتي « بالأخبار » الصالحة للنشر في وضوح تام وصراحة مطلقة ، سواء اتفقت هذه الأخبار مع « سياستها » أو لم تتفق ، فستكون سياستها بحيث لا تعنى إلا بالحقائق وحدها فلا تخفف من أمر الأخبار أو تبالغ فيها ، ولا تعلق عليها أو تؤولها لتتفق مع « سياستها »

وسوف تفسر الشك لصالح النشر في الحالات التي يتردد الصحفي فيها ، فيرى أنه قد يكون من صواب الرأى أن يمسك عن النشر

وسوف لا تؤيد أية حكومة بالغة من السلطان والسطوة ما بلغت ، أو تركى أى سياسى كائناً من كان إلا لما تقتنع بصدقه من الأسباب العامة التي لا تخفيها عن الجماهير .

وسوف تكون خادمة الشعب وحده ، ولصالح الشعب فقط ، سوف تعترف بواجب الرعية نحو الحكومة ، وتقر ولاء الشعب لأولياء أموره ؛ وسوف لا تقود الشعب قيادة عمياء من طريق الزلفى إليه ، فإذا هي تعامل جمهوراً وهمياً زاعمة أن القراء لا قبل لهم باحتمال القول الصريح والحقائق المرة ؛ إذ من واجب الخادم الأمين أن يقول الحق لسيده .

وسوف تكون صحيفتي صحيفة قومية ، لا صحيفة تعنى بالروابط الجنسية والفوارق العنصرية ؛ وسوف تطبع بطابع عام من سياسة الرجال الأحرار لا بطابع خاص بحزب الأحرار .

وسوف تجاهد في سبيل السلام الحقيق من غير أن تنشده على ضوء النظريات السلمية التي تتجاوز طبائع الناس وطبيعة الحياة . فتكشف الستار عن الأمور الجوهرية وتفصح عن المسائل التي تقتضيها ضرورة الحياة ، تلك المسائل التي يكون من حق الأمم والرجال أن يحاربوا من أجلها حرباً لها ما يبررها ويزكيها ، أو يموتوا في سبيلها موتاً شريفاً نبيلاً إن ضاقت بهم السبل ، ولم يتيسر لهم طريق آخر يدعمون به حجتهم من الاحتفاظ بمقومات حياتهم ؛ وسوف لا تقع صحيفتي أبداً في ذلك الخطأ الفاجع فيخيل لها أن اجتناب الاصطدام بين الأمم ، وأن التوفيق بين المذاهب المتعارضة للشعوب المختلفة أمر ميسور ، وهو خطأ اقترفوه عندما حسبوا أن اجتناب الحرب أمر ممكن ومرغوب فيه لذاته .

وسوف تكافح صحيفتي بكل ما وسعها من قوة ذلك النهج العدائي الأخرق الماثل فيما يثور بين الأمم من جدل . ولكنها إلى ذلك ستذكر دائماً أن قلوب الرجال سوف لا تنصرف عن الحرب وما تنطوى عليه من روح الإقدام والمخاطرة انصرافاً أبدياً ، مالم يقدر للسلام أن يطبع ما يكرسون له أنفسهم ويضحون في سبيله بأرواحهم بطابع يوجههم إلى أشياء أجل من الحرب شأناً ، أنبل منها غاية

وسوف تعمل صحيفتي على أن تثبت قواعد المودة بين الأمم ، وتدأب على توثيق العلائق بين الشعوب ، لا لبغية اجتناب الحرب فحسب ، بل لتستعين بذلك في الدفاع عن الحرية الشخصية والحقوق الإنسانية ، ولتشق طريقها إلى إنشاء التعاون الدولي . وسوف لا يقل نصيبها في ذلك عن نصيبها فيما ستضطلع به من تجنيد جميع طبقات الشعب فيما يتصل بالشئون القومية والاجتماعية ، بغية النهوض بما يتطلبه صرح الجماعة من إنشاء وتجديد

فهل يتاح لصحيفة كهذه ، أحكم صنعها من الناحية الفنية ، وظفرت بما طمعت فيه من الثقة والتقدير ، وسارعت بإذاعة الأخبار في إبانة وصدق ، ووجهت ضرباتها القوية بحكمة وحزم غير آبهة بسلطان أو حافلة بمال ، ثم تهيأ لها حظ موفور من القوة والنشاط وبمجالدة الأعداء ، أقول : هل يتيسر لصحيفة كهذه أن تطمع في انتشار واسع يجعلها تتحكم — ولا أقول تلتمس — في دخل كاف من أجور الإعلانات يهيئ لها موازنة ميزانيتها ؟ !

أغلب ظني أنه سوف يتاح لها ذلك كله متى ما توفر لها من الثروة في أوائل نشأتها « ما يثبت أقدامها » في ميدان الاختبار ، إلى أن يتهيأ لها أن تكسب ثقة شعبها

وقد تتهيأ الفرصة يوماً لرجل عبقرى توفرت فيه مؤهلاته وكفايته أن يخرج للناس صحيفة من هذا القبيل . وآنئذ سوف